مجلة المرابط

العدد : ٢١١ الموافق في ربيع أول ١٤٢٠ هجري ٧ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : المسلمون .. صراع حدود أم وجود ؟	بقلم : عبد الله هارون

ما زال الصراع بين المسلمين وغير المسلمين في عدد من الأماكن محتدماً، وربما خفت حدّته في منطقة واستعرت في أخرى ، وربما كان بالحجارة تارة وبالسلاح أخرى ، والسؤال الذي يرد على الذهن هو : هل هذه الصراعات للبقاء أم من أجل الحدود ؟! وللإجابة على هذا السؤال سوف أتناول أمثلة لذلك بما يدور الآن حول القدس في فلسطين ، وما يحدث في كشمير وعلى الحدود بين الهند وباكستان .

أولاً : الصراع على مدينة القدس :

ليس هناك شك في أن القدس الشريف هو جوهر الصراع بين اليهود المغتصبين والفلسطينيين ومن ورائهم العرب والمسلمون ، كما أن اغتصاب فلسطين هو محور الصراع العربي - الصهيوني ، ولا أحتاج هنا إلى بيان أهمية القدس والمكانة التي لها في قلوب المسلمين ، فالقدس الشريف أولى القبلتين ومسرى الرسول ﷺ ، قال الله تعالى : { **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** } [الإسراء : ١] ، وهو ثالث الحرمين الشريفين وأحد المساجد الثلاثة التي لا تُشد الرحال إلا إليها ، قال النبي ﷺ : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى "[**البخاري ومسلم**]

وبناء على ذلك فارتباط المسلمين بالقدس الشريف عقيديّ والصلة بينه وبين المسجد الحرام واضحة الدلالة ، فلا يمكن لأن يفرط فيه أي مسلم صادق الإيمان. وليس ارتباطاً عاطفياً أو تاريخياً أو حضارياً فقط بحيث يمكن أن يتنازل عنه أو يقنع ببناء مسجد في مكان آخر ويطلق عليه القدس كما يزعم بعضهم !!!

ولكن في نفس الوقت يتبنى الصهاينة أسطورة توراتية - بزعمهم - تقول : إن الهيكل تحت المسجد الأقصى ولا بد من هدم المسجد لإعادة بناء الهيكل ، وهناك من يشعر من اليهود أن اقتراب العام ٢٠٠٠ يجعلهم في صراع مع الزمن ، حيث اقترب زمان (ملك السلام) الذي يعتقد اليهود أنه سيقضي على أعداء « إسرائيل » ولا بد من تهيئة عالم الشهادة لقدومه من عالم الغيب .. والذي يتمثل في إقامة دولته ، وتوحيد عاصمته ، وتجهيز منبر دعوته وموضع قبلته .

أما الدولة فقد أقاموها .. وأما العاصمة فقد وحدوها منذ ١٩٦٧ ويعملون على توسيعها ، وأما منبر الدعوة وموضع القبلة أي الهيكل فهو المهمة الآنية والضرورة الحتمية لاستكمال ما يلزم في الزمن

السابق لعهد بناء الهيكل الثالث . وليس الأمر غريباً بالنسبة للصهاينة فقد نشرت صحيفة « الأوبزرفر» البريطانية في عدد يوم ١٩٩٧/٧/٩م خبراً جاء فيه : " سيكون الذبح الطقسي للبقرة الحمراء بعد ثلاث سنوات من ميلادها ، بداية العد التنازلي للعودة الكبيرة لليهود إلى موقع عبادتهم السابق ، تبشيرا بمجيء المسيح المخلص ، بيد أن محاولة تحقيق هذه العودة ستؤدي إلى بداية لا تنسى للألف الثالثة "

وهناك معاهد ومزارع ولجان تسهر من أجل تحقيق هذا الهدف وأهم هذه المؤسسات « لجنة بناء الهيكل » التي عملت على ما يلي :

١. توزيع مصورات لمدينة القدس ليس فيها المسجد الأقصى ، وإنما أقيم مكانه الهيكل المزعوم .

٢. تم تجهيز الخيمة التي سيتم فيها القداس .

٣. أعلنوا عن ميلاد البقرة الحمراء التي سيتم بدمها التطهير .

٤. يجري العمل على إيجاد الشمعدان المقدس .

وأما الساسة فعملهم دائب ومتسارع في تحقيق ما يلي :

١. توسيع مدينة القدس - العاصمة الموحدة والأبدية لدولة الكيان الصهيوني- لتصبح « القدس الكبرى » بحيث تصبح مساحتها ٨٤٠ كلم٢ بعد أن كانت في سنة ١٩٦٧ ٦,٥ كلم٢ .

٢. زيادة عدد السكان اليهود ، وتنفيذ ما قاله « بن جوريون » عقب احتلال القدس الشرقية : " لا بد من إحضار اليهود إلى القدس الشرقية مهما كان الثمن ، فلا بد من توطين عشرات الآلاف من اليهود خلال فترة قصيرة من الزمن ولو في الأكواخ ."

٣. مصادرة أراضي الفلسطينيين من سكان القدس من أجل تنفيذ مخطط التهويد ، وعدم السماح لهم في القدس بالبناء ، في الوقت الذي يتم فيه تشجيع اليهود بالبناء من خلال إعطائهم التراخيص والتسهيلات المادية .

٤.ولكل مسلم حي الضمير أن يسأل ماذا فعلت لجنة القدس التي شكلها مؤتمر القمة العربية ؟ بل وأين جهود المؤسسات الدينية الإسلامية في العالم الإسلامي الذي يضم أكثر من خمسين دولة ؟ وأين جهود الشعوب الإسلامية ؟! إن القدس تستصرخ العالم الإسلامي حكاماً ومحكومين أن يعملوا على مواجهة جهود الصهاينة لايقاف العبث بمقدسات المسلمين .

ثانياً : الصراع على ولاية كشمير .

لا شك أن ولاية كشمير هي جوهر الصراع بين الهند وباكستان منذ عام ١٩٤٧م ، ولقد خاضت

الهند وباكستان ثلاث حروب منذ تم انفصال باكستان عن الهند وحتى الآن بسبب ولاية كشمير ، ويمكن إيجاز المراحل الأخيرة للصراع في النقاط الآتية :

١. بعد التقسيم قامت الهند باحتلال أجزاء من ولاية كشمير التي من المفترض أن تكون تابعة لباكستان .

٢. بعد وصول الحزب الهندوسي المتطرف « بهاراتيا جاناتا » إلى الحكم ، وأداء رئيس الوزراء « آتل بهاري واجبائي » اليمين الدستورية يوم ٩٨/٣/١٨م صرح بضرورة مراجعة سياسة الهند النووية ، وبالفعل قامت الهند يومي ١١و١٩٩٨/٥/١٣م بإجراء تجاربها النووية ، وتبعتها باكستان بعد ١٧ يوماً بالرد من خلال إجراء تجاربها النووية أيضاً .

٣. قامت الهند باختبار صاروخها أجني ٢ في ١٩٩٩/٤/١١م ، فقامت باكستان في يومي ١٤و١٩٩٩/٤/١٥م باختبار صاروخين من الصواريخ بعيدة المدى هما : غوري ٢ ، وشاهين١ ، وذلك في رد سريع وحاسم .

٤. أثبتت زيارة رئيس الوزراء الهندي لباكستان يوم ١٩٩٩/٢/٢٠م ضعف الحكومة الباكستانية في مواجهة خصمها ، ففي الوقت الذي تمارس فيه الحكومة الهندية في الهند وكشمير أبشع أنواع الظلم والاضطهاد على المسلمين ، فتقتل وتشرد في كل يوم من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ، في هذا الوقت يُستقبل رئيس الوزراء الهندي في باكستان ، وتم التوقيع معه على اتفاق «لاهور»

٥. يوم ١٩٩٩/٥/١٤م بدأت الهند عمليات قصف مركز بالمدفعية زاعمة أن ٧٠٠ متسلل دخلوا خلف الحدود إلى « كارجيل » ، ولما لم تتمكن عمليات القصف المدفغي من إجلاء المتسللين ، قامت الهند باستخدام الطائرات لقصف المنطقة وادعت أن باكستان هي التي دعمت هؤلاء المتسللين وربما كان منهم باكستانيون . وسوغت أعمال القصف بالطيران وحشد القوات على الحدود بأن تسلل الكشميريين هذه المرة ليس تسللاً عادياً كما كان في المرات السابقة .

٦. نظراً لأن « كارجيل » تقع على بعد ٦ كيلومترات من القوات الباكستانية ، فإن عمليات القصف الهندي وحشد القوات على الحدود أحدث توتراً في باكستان ، فطالبت باكستان بتدخل الأمم المتحدة وأرسلت وزير خارجيتها إلى الهند للتباحث في حل النزاع سلمياً ، ولكن الهند رفضت المباحثات قبل أن ينسحب المتسللون إلى مواقعهم خلف وقف إطلاق النار

٧. المناخ السياسي في الهند ملائم لفكرة المواجهة مع باكستان الآن ، ومع اقتراب الانتخابات

البرلمانية الهندية المبكرة المقرر إجراؤها في سبتمبر القادم ، فقد يرى بعض الزعماء المتطرفين في الائتلاف الحاكم في نيودلهي أن من مصلحتهم تصعيد التوتر مع باكستان حتى يدفع ذلك الشعب الهندي إلى الالتفاف حول أحزابهم المتطرفة في الانتخابات .

٨. عدم مقدرة رئيس الوزراء الباكستاني على الصمود أمام الضغوط من المعارضة والرأي العام ، فقد أثبتت الحوادث بعد إجراء الهند للتجارب النووية في العام الماضي وإجراء الهند للتجربة الصاروخية في هذا العام ، أن رئيس الوزراء الباكستاني نواز شريف لا يستطيع الصمود أمام ضغوط الرأي العام والمعارضة السياسية الداخلية ، فقد اضطر في الحالتين للرد على الهند بإجراء تجارب مماثلة .

ومن ذلك يتبين خطورة هذا الصراع إذا علمنا أن عددا لقنابل النووية التي تتمتلكها الهند حوالي ٤٠ قنبلة وفي المقابل لدى الباكستان عشرة قنابل نووية

ثالثاً : خلاصة وبيان

١. إن مصدر المآسي التي حلت وتحل بالمسلمين - بعد القضاء على الخلافة وتفتيت دولتها - هو الغرب الذي تصور الإسلام هو العدو ويقف حجر عثرة أمام تحقيق مصالحه الاستراتيجية . ويكفي أن يستقرئ الإنسان مواقف الغرب (أمريكا وأوروبا) من تقسيم شبه القارة الهندية وجعل الهند تفصل بين بلد المسلمين المقسم إلى منطقتين بحيث شجع ذلك في ١٩٧١ على انفصال بنجلادش عن باكستان ، ومواقف الأمم المتحدة ومجلس الأمن بدعم الغرب كانت مع الهند ضد باكستان . وأما الحديث عن مواقف الغرب من الكيان الصهيوني فهو أوضح من أن يذكر ، إذ يكفي عدد المرات التي استخدمت فيها أمريكا حق النقض « الفيتو » في مجلس الأمن لصالح الكيان الصهيوني .

٢. ومما ساعد على حدة المآسي عجز العالم الإسلامي عن القيام بعمل فاعل تجاه صراعات المسلمين والدفاع عن أرضهم ومقدساتهم ، فضلاً عن وجود أنظمة حكم خانعة تابعة جعلت قضيتها مع شعوبها ، وعداءها للحركة الإسلامية والصحوة الإسلامية بنعتها بالإرهاب ، والعمل للقضاء عليها تنفيذاً لرغبات الغرب وفي الوقت ذاته خوفاً على ضياع السلطة من الأيدي !!!

٣. للقضاء على هذا العجز ومواجهة التحدي الغربي : يجب علينا معشر المسلمين أن نكون أول مستفيد من تجربة الصحابة ﷺ مع رسول الله ﷺ ، فندرك كيف أخذوا بالأسباب فغيّر الله تعالى أحوالهم وأوضاعهم من ضعف إلى قوة ومن ذل إلى عزة ومن كفر إلى إيمان ؟ ولقد أرشدنا الله تعالى إلى ذلك فقال عز وجل : { واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم

وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون }[**الأنفال : ٢٦**]

لا بد من إدراك أن الصراع ليس من أجل حدود وإنما هو صراع وجود ، ولا بد من اليقين في منهج الله عز وجل والفرار إليه سبحانه وتعالى ، والتعاون على القيام بالواجبات المطلوبة في السلم والحرب ، وأخذ الأمور بجد وقوة ، والمسارعة لتنفيذ أمر الله تعالى والجهاد في سبيله بالمال والنفس ، مصداق قول الله عز وجل : { **انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** } [التوبة : ٤١]

نعم ، علينا أن نسارع للقيام بالواجب على أية حال كنا : ركباناً أو مشاة ، شبابا أو شيوخاً ، فقراء أو أغنياء ، نساء أو رجالاً ، فإذا تكاملت هذه الواجبات أرضينا بذلك ربنا عز وجل ، وأعاننا الله تعالى للقيام بخطوات حاسمات في تحقيق أهدافنا لنفوز بالفلاح في الدنيا والآخرة ، والله تعالى هو الموفق والمسدد لما فيه الخير والصلاح .